وقفة

مع آية الكرسي

د. مُطْلَقُ الجَاسِرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين له بإحسانٍ إلى يوم الدين أرحمهم برحمتك يا أرحمن الراحمين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وارفعنا وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا واغفر لنا يا رب العالمين.

أما بعد ...

✍ فنحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما منّ بهِ من هذه النعمة أنْ جعلنا نجلسُ في بيتٍ من بيوتهِ، نتذاكرُ شيئًا من كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد ورد في فضل ذلك ما تعلمون، وهو قول النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما جلس قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»**.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنْ يجعلنا وإياكم ومنهم، وأنْ يجعل هذا المجلس في موازين حسناتنا يوم القيامة.

۞ **الآية الَّتِي سنتدارسها إن شاء الله في هذه الدقائق هي أعظم آيةً في كتاب الله**، أعظم آيةٍ في القرآن العظيم كما ثبت ذلك في السُّنَة عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقد رَوى الإمام مسلمٌ في صحيحه عن أبي بن كعب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله فقال: «**يا أبي، أتعلم أي آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟**»، ما هي أعظم آية في القرآن؟ فقال أبيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «**الله ورسوله أعلم**»، فأعاد عليه النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال قال: «**يا أبي، أتعلم أي آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟**»، فقال أبي: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة:٢٥٥]، فضرب النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدر أبي فرحًا وقال: «**لِيَهنِكَ العلم أبا المنذر**»، أي: هنيئًا لك العلم حيث وفقك الله لأنْ تعلم أعظم آية في القرآن العظيم وهي **آية الكرسي**.

❁ **وسبب كونها أعظم آية** أنّ موضوعها أعظم موضوع وهو التوحيد، **فقد تضمنَت هذه الآية تقرير التوحيد:**

❁ توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ وتوحيد ربوبيته.

❁ وتوحيد ألوهيته.

❁ وتوحيد أسمائه وصفاته.

لذلك استحقت أنْ تكون أعظم آيةً في كتاب الله، وقد ورد في السُّنَة الحث على تلاوة هذه الآية بما لا يقل عن ثمان مرات باليوم، من السُّنَة ألا تقل قراءتك لهذه الآية **آية الكرسي** عن ثمن مرات باليوم، **كيف ذلك؟**

❁ **أولًا:** يُسَن أنْ تقرأها بعد كل صلاةٍ مفروضة.

وقد ورد في فضل ذلك ما في سنن النسائي بإسنادٍ صحيح عن أبي أمامة -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ- أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن قال آية الكرسي في دبر كل صلاةٍ مكتوبة لم يمنعهُ من دخول الجنة إلا أنْ يموت**»، أي: مَن حافظ على تلاوة آية الكرسي في دبر كل صلاة، أي: بعد أنْ ينتهي من كل صلاة مكتوبة من الصلوات الخمس يكون ليس له مانع من دخول الجنة إلا أنْ يموت.

ولا شك أنّ هذا فضله عظيم، فهذه خمس مرات.

❁ **ثانيًا:** كذلك يُسَن أنْ تقرأها إذا دخلت فراشك قبل أنْ تنام؛ وذلك لما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ- أنّ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعملهُ على الصدقات، أي: في حراسة أموال الصدقة والزكاة الَّتِي تُجمَع من المسلمين.

فجاء إنسان واحتذى من الصدقة، أي: حاول يأخذ ويسرق، فمسكه أبو هريرة فاشتكى قال: أنا ذو عيال وكذا، فرَحِمه أبو هريرة وأطلقه على ألا يعود مرةً أخرى، فلما أصبح قال له النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**»، **وهذا يدل على** أنّ النبيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد أطلعهُ الله عَزَّوَجَلَّ على هذا الأمر.

فقال أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «**لقد اشتكى فقرًا وعنادًا فرحمته على ألا يعود**»، فقال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد كذبك وسيعود!**»، فعاد في الليلة الثانية كما أخبر النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومسكه أيضًا أبو هريرة وهو يحاول السرقة، فاشتكى أيضًا نفس الشكوى أنه ذو عيال وكذا، فأبطله أبو هريرة وأطلقه على ألا يعود، ومن الغد أيضًا سأله النبيّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» فقال له أبو هريرة: «**لقد اشتكى أيضًا كذا وكذا وأطلقتهُ**»، قال: «**كذبك وسيعود!**».

فجاء في الليلة الثالثة فمسكهُ أيضًا أبو هريرة وقال: لن أطلقك هذه المرة، فقال هذا الإنسان: أخبرك بأمرٍ لا تعلمهُ وتطلقني، أي: أعطيك معلومة أو فائدة مقابل أن تطلقني، وكان الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- أحرص الناس على الخير، أي: يبذلون في سبيل الفوائد والعلم الشيء الكثير.

قال: قل، قال: إذا آويت إلى فراشك هذا الرجل الآن يقول لأبي هريرة: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ ﴿**اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[البقرة:٢٥٥] حتى تختمها، فإنهُ لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فأطلقهُ أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

فسألهُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغد: «**ما فعل أسيرك البارحة؟ فقال لهُ: يا رسول الله، قال لي: ما آويت إلى فراشك فاقرأ ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختمها، فإنهُ لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تصبح، فقال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صدقك وهو كذوب، أتدري يا أبا هريرة، مَن الَّذِي يأتيك منذ ثلاثة أيام؟ قال: لا أدري يا رسول الله، قال: ذلك شيطان!**».

❁ **وهذا الحديث فيه فوائد كثيرة:**

❁ **من أعظم فوائده:** سُنية أنْ يقرأ الإنسان قبل النوم إذا أوى إلى فراشه آية الكرسي.

❁ **وأنّ من فضلها** أنها تحميه بإذن الله عَزَّوَجَلَّ من أنْ يقربهُ شيطان حتى يصبح.

❁ **ومن فوائد هذا الحديث أيضًا:** أنّ الإنسان المسلم لا يستنكف أنْ يستفيد الفائدة من أي أحد.

فهنا النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أقام كلام الشيطان وقبله لأنه حق، وقال: «**صدقك وهو كذوب**»، ولا ينفي كونهُ صدق في هذه المعلومة أنهُ كذوب، وأنه خبيث.

وقد ورد أيضًا بقصةٍ شبيهة وحدثت نفس القصة أو شبيهة من هذه القصة لأبي بن كعب -رَضِّيَ اللهُ تعالى عَنْهُ- كما رواه الطبراني والنسائي أنّ أبي أيضًا -رَضِّيَ اللهُ عَنْهُ- حرس في يوم من الأيام الصدقات، وأتاهُ كائن غريب، هيئته هيئة إنسان ويده كيد كلب، فمسكه أبي -رَضِّيَ اللهُ عَنْهُ- إلى آخر القصة، حتى قال له في النهاية: إذا قرأت آية الكرسي لا يقربك شيطان، فأخبر أبيٌّ النبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك، فقال: «**صدق الخبيث**».

✍ **لذلك يقرر أهل العلم:** أن من أعظم ما يرقى بهِ الإنسان نفسه آية الكرسي؛ لأنها من أثقل ما يكون على الجن والمُرد والشياطين ونحو ذلك.

❋ **إذًا** إذا التزم الإنسان أنْ يقرأ آية الكرسي بعد كل صلاة هذه خمس، وقبل النوم هذه ست، وكذلك إذا أصبح وإذا أمسى، فهذه ثمان، فإنهُ يُشرَع ويُسَن للإنسان أنْ يقرأ آية الكرسي في أذكار الصباح وفي أذكار المساء.

❋ **إذًا** لا ينبغي للإنسان أن تقل قراءتهُ لهذه الآية العظيمة عن ثمان مرات باليوم، وهذا **إنّ دلّ على شيء** فإنهُ يدل على عِظَم ما فيها من معاني، وأنّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أراد منّا أنْ نتدبر هذه الآية العظيمة.

☜ **لماذا هذه الآية العظيمة قد بلغت من المنزلة ما بلغت؟**

لأنها -كما قلنا- تتكلّم عن أعظم موضوع وهو موضوع التوحيد، فقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيها: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

✎ **بدأ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هذه الآية** بأنهُ لا إله إلا هو، وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد شهادة التوحيد أنهُ لا إله إلا الله، لماذا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا إله إلا هو؟ هناك براهين لهذا التوحيد؛ لأنهُ حي قيوم.

لذلك قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وهذان الاسمان من أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هما مجمع كل صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذاتية والفعلية.

➢ **فالحيّ:** أي: الَّذِي قد اتصف بالحياة الكاملة الَّتِي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وذلك يتضمن جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية، فالحيّ صفةٌ ترجع إليها كل صفات الله -عِزَّ وَجَل-، فالحياة تستلزم السمع، وتستلزم البصر، وتستلزم الكلام، وتستلزم الإرادة، فهي قد دلّت على سبيل الالتزام على جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية.

➢ **والقيوم، ما معنى اسم الله عَزَّوَجَلَّ القيوم؟** القيوم هو الَّذِي يقوم على نفسهِ وعلى غيره، ولا يحتاجُ إلى أنْ يقوم عليه غيره، أما البشر فلا يستطيع الإنسان أنْ يقوم بشؤون نفسه فضلًا عن أنْ يقوم بشؤون غيره، جسدك الَّذِي هو جسدك والَّذِي لا تعيش إلا به، لا تستطيع أنْ تسيره لوحدك.

جسدك يعمل بدون إرادةٍ منك، **هل أنت الَّذِي تحرك قلبك؟** لا، هل أنت الَّذِي تجري الدم في عروقك؟ الجواب: لا، هل أنت الَّذِي تهضم الطعام الَّذِي تأكله؟ الجواب: لا، أنت مهمتك تنتهي بالطعام في تناوله فقط، تدخل اللقمة في فمك، وتمضغ الطعام ثم تبلعهُ ثم تنساه، ومَن يتولى بعد ذلك عملية الهضم وتدبير ذلك؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما أودعه فيك من جهاز هضمي وأمعاء ومعدة وعصارات.

فأنت أصلًا لا تستطيع أنْ تقوم بنفسك، حتى حياتك لا تستطيع أنْ تقوم بها، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الَّذِي يقوم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بشؤون نفسهِ وشؤون الخلق جميعًا، وهذا الاسم -كما يقرر أهل العلم- ترجع إليه جميع صفات الأفعال، كل صفة من صفات الأفعال ترجع إلى صفة القيومية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

✍ **لذلك يُقال بعض أهل العلم:** أنّ اسم الحي القيوم هو الاسم الأعظم الَّذِي بيّن النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه أنّهُ إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وقد اختلف العلماء في هذا الاسم.

✍ **فقيل**: هو الله لفظ الجلالة.

✍ **وقيل**: هو الحي القيوم؛ لأنّ الحي القيوم -كما علمنا- اسمان يرجع إليهما كل صفات الله عَزَّوَجَلَّ الذاتية والفعلية.

ثم بيّن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ انتفاء صفات النقص عنه، فنفى عن نفسهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ السِنة، فقال: ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾.

➢ **والسِنة:** هي أوال النوم النُعاس، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا تأخذهُ سِنة، لا ينعس، ولا تبدأ عنده مقدمات النوم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا تأخذهُ هذه السِنة ولا يأخذه النوم؛ لأنّ النوم صفة نقص، أنت يا أيها الإنسان لا تستطيع أنْ تقهر سلطان النوم، ما تستطيع، ممكن تظل بدون نوم يوم يومين، لكن النوم يهجم عليك غصبًا عليك، حتى لو أفقت ذلك يأتيك؛ لأنهُ له سلطان عليك.

فأنت مقهور بالنوم، وإنْ لم تختر أنت النوم يأتيك رغمًا عنك؛ لأنك ناقص، لأن الإنسان ناقص لا يستطيع أنْ يكمل حياته دون أنْ ينام وإلا الجسد ما يتحمل، وهذه الصفة **وهي صفة النقص صفة النوم منزهٌ عنها ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ**، ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾.

ثم قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مبينًا أنهُ مالكٌ لكل شيء، قال سبحانه: ﴿**لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾، وما في السماوات وما في الأرض يشمل كل شيء، لا يوجد شيء من المخلوقات خارجة عن السماوات والأرض.

❁ **إذًا** الله عَزَّوَجَلَّمالك كل شيء، وإذا فهمنا هذه الحقيقة -يا إخواني الكرام- سنفهم أمرًا مهمًا جدًّا، **وهو** ألا نسخط ونتسخط على أقدار الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ لأنّ أي فعلٍ في الكون هو بمشيئة الله سبحانه، وقد جرى بإرادته سبحانه، وهو تصرف المالك فيما يملك.

لذلك إذا حصل لك مصيبة أو مرض أو أمر من الأمور، ما الَّذِي يُشرَع لنا أن نقول؟ يُشرَع لنا أنْ نقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ كما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مادحًا المؤمنين كما في سورة البقرة قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦].

إِنَّا لِلَّهِ: تذكير بهذه الحقيقة بأنك مملوك لله -عِزَّ وَجَل-، إِنَّا لِلَّهِ: أي: إنّا مملوكون لله -عِزَّ وَجَل-، ومَن يتصرف في ملكه ما ظلم، أنت لو تصرفت في ملكك بما شئت لا يستطيع أحدٌ أنْ ينكر عليك، لذلك إذا عَلِمنا أننا ملكٌ لله عَزَّوَجَلَّلا نستطيع أنْ نتسخط على الله، ولا يحق لنا أنْ نتسخط على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ لأنّ أي فعلٍ من أفعال الله عَزَّوَجَلَّفي هذا الكون هو فعل المالك فيما يملكهُ.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وهذه الحقيقة الثانية الَّتِي ينبغي أنْ تتذكرها عند المصاب، أنّ مهما حدث في هذه الحياة فإنهُ سينتهي في يوم من الأيام، مهما حدث مرض، خسارة، مصيبة، حرب، أي أمر من الأمور إذا تذكرت أنها في حدود الدنيا، وأنّ لها أمدًا سينتهي، وأننا سنرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّهان عليك الأمر.

ذِكر وتذكر توقيت المصيبة وأنها مؤقتة يهون على الإنسان، أما -والعياذ بالله- حال أهل النار نسأل الله أنْ ينجينا وإياكم منها، وأنْ يعصمنا وإياكم منها، أعظم مصيبة عندهم ما هي؟ هو معرفته أنه لا نجاة منها، هذه أعظم مصيبة، كل شيء ممكن أنْ يُحتمَل طالما أنهُ سينتهي كل شيء في هذه الحياة، مجرد أنْ تتذكر أنهُ سينتهي ولو بعد مدة يهون عليك الأمر.

❁ **لكن المصيبة** إذا علمت أنه لا نجاة، لا نجاة أبدًا مهما حدث، هنا يتمنون الموت، يصبح الموت بحد ذاته أمنية، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف:٧٧]، أي: تخيل! وضع يتمنى صاحبه فيه أنْ يموت! ثم يُقال له بعد ذلك: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[الزخرف:٧٧].

📄 **وقد جاء في بعض الروايات** أنّ هذا الرد وهو قول: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ يأتي بعد ألف سنة من شكواهم، تخيلوا!

فلذلك إذا عَلِمنا هاتين الحقيقتين -إخواني الكرام- فهما كالدواء لأي مصيبة تحدث لك فتزيلها بإذن الله، أنْ تعلم أنك لله مملوك، وأنْ تعلم أنها مؤقتة، وأنك إليه راجع، وأنّ أي مصيبة حدثت لك إذا صبرت عليها واحتسبت الأجر فيها، فإنك مُجازى بإذن الله -عِزَّ وَجَل-.

✍ **لذلك** يُروَى أنهُ يُؤتَى بأهل المصائب الَّذِين ابتلوا في الدنيا بالأمراض والأسقام ونحو ذلك إذا صبروا واحتسبوا يؤتون أمام الناس يوم القيامة، فيُعطون من الجوائز، ويعطون من الأجور، ويعطون من الحسنات، ما يتمنى الناظرون إليهم أنْ لو قُطعَت أجسادهم بالحياة الدنيا بالمقاليد، تخيل! يقولون: يا ليتنا في الدنيا صرنا من أهل البلاء، يا ليتنا قُطِعنا في الدنيا بالمقاليد؛ لعظم ما يرون من نعيم الله عَزَّوَجَلَّ لأهل البلاء.

لَمن؟ ﴿ **لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾، وهذا فيه إثبات ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكامل لجميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض.

📖 **ثم قال الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾، وهذا فيه قطع كل سبب يؤدي إلى النجاة إلا من طريق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في الدنيا أول ما تحدث للإنسان مصيبة يفكر في الواسطة، صح؟ تعرف أحد بالمكان الفلاني؟ أنا طحت بمصيبة تعرف أحد بالشرطة؟ تعرف أحد أين؟ تعرف أحد بالوزارة الفلانية؟

يرجع إلى جماعته، إلى أهله، إلى مَن يساعده، أما يوم القيامة فلا يستطيع أحد أنْ ينقذ نفسه، فضلًا عن أنْ ينقذك، ليس فقط هذا، يفر الناس بعضهم من بعض؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ**﴾[عبس:٣٣]، وهو اسم من أسماء يوم القيامة؛ لأنها تَصُخ الأذان بضجيجها، ﴿**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ**﴾[عبس:٣٣-٣٤]، ليس الفرار يعرض.

في إعراض، وفي فرار، الإعراض يكون يملك فقط يصد عنك لا، أعظم من هذا، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ﴾، أي: حتى بجسده، حتى لا تخاطبه ولا تراه ولا يراك، ممَن يفر؟ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ﴾[عبس:٣٤-٣٦]، أي: زوجته، ﴿وَبَنِيهِ﴾[عبس:٣٦]، هؤلاء أقرب الناس، ما في أقرب من هؤلاء، ما في أقرب من الولد والوالدة والوالد والزوجة والأخ.

فإذا فر منك هؤلاء مَن سيبقى معك! هؤلاء يفرون، الأم الَّتِي ربما في الدنيا مستعدة أنْ تفعل كل شيء مقابل سعادتك، يوم القيامة أنت تفر منها وهي تفر منك، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس:٣٤-٣٧].

كل واحد له شأن ما أحد ينشغل بأحد.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾[الأنعام:٩٤]، فرادى كل واحد لمفرده، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام:٩٤]، تأتي يوم القيامة دون أنْ يكون عليك أي دلالة لأي شيء عاري لا لباس عليك نهائيًا، حافي غير منتعل، ليس معك أحد، تأتي بمفردك، ليس معك أب، ولا ابن، ولا أخ، ولا عشيرة، وعائلة، ولا جماعة، فرادى.

﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أي: عُراة، مَن الَّذِي معك؟ مَن الَّذِي يعينك؟ عملك الصالح فقط هو الَّذِي أتيت يأتي معك ويعينك؛ كما قال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن تحت ظل صدقتِهِ يوم القيامة**»، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»، أعمالهم هي الَّتِي أظلتهم.

✍ لم ينفعهم نسب، ولا مال، ولا جنسية، ولا موصل، ولا وظيفة، ولا أهل، ولا عشيرة.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[الأنعام:٩٤]، أي: ما خولناكم من القصور والبيوت والأموال والمناصب والمزارع، كلها تركتموها، ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾[الأنعام:٩٤]، أين الَّذِين أنتم تعتزموا فيهم!

إذا فهمنا هذه الحقيقة، وفهمنا أنهُ لا يشفع أحد لأحد يوم القيامة إلا بإذنه، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأذن لفئة من الناس بالشفاعة، كالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له أنواع من الشفاعات، والشهيد يشفع لسبعين من أهله ونحوه؛ كما هو مفصل في موضعهِ.

أما أنْ تعتمد على فلان أو علان وأنت في الدنيا تُهمِل في دينك، في عبادتك، في صلاتك، تقول: فلان سينفعني، لا ما أحد سينفعك، ما ينفعك أحد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لذلك إذا علمنا هذه الحقيقة نعلم سفهًا مَن يفضل أحدًا من الناس في الدنيا على ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بعض الناس يُقصِلا ومستعد لانتهاك محارم الله وعصيان الله من أجل أحد مخلوق، مستعد يكذب، يزور، يعصي، يسرق، يرتشي، يفعل أي مصيبة من المصائب من أجل أولاده أو زوجته أو أحد من إخوانه أو أحد من جماعته، يقدم رضاه على رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يعلم المسكين أنهُ أول مَن يفر عنه يوم القيامة.

لذلك النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن أسخط الله برضا الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومَن أرضا الله بسخط الناس**»، ما عنده مشكلة أنْ يزعلون الناس عليه طالما أنه مرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «**رضي الله عنه وأرضى عليه الناس**».

لذلك يجب -يا إخواني- أنْ نُعلِق قلوبنا بالله -عِزَّ وَجَل-؛ لأنك ستأتي يوم القيامة لن ينفعك أحد أبدًا، مهما كان هذا الأحد مهم، مشفقًا عليك، رحيمًا بك مهما كان، أقرب من الوالد والوالدة ما في، ومع ذلك أخبرنا سبحانه أنهم سيفرون منك.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، ثم بيّن سبحانه عِظم علمه، قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[البقرة:٢٥٥]، ما بين أيديهم أي: المستقبل، وما خلفهم أي: الماضي، فالله عَزَّوَجَلَّ علمهُ محيط بما فعلتهُ وما تفعلهُ وما ستفعلهُ، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بكل شيءٍ عليم.

﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، أما نحن البشر ضعفاء لا نستطيع أنْ نعلم، أشياء كثيرة نجهلها، ومع ذلك يتجبر الإنسان ويحاول أنْ يتكبر على ربه سبحانه، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة:٢٥٥]، إلا ما يشاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يطلعنا عليه، لكن الَّذِي يخفى علينا أكبر بكثير مما نعلمه.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥]، **الكرسي:** ليس هو أعظم المخلوقات، هناك ما هو أعظم من الكرسي وهو العرش، العرش غير الكرسي، والعرش أعظم المخلوقات، الكرسي صغير بالنسبة للعرش، ومع ذلك هذا الكرسي وسع السماوات والأرض، فما بالك بالعرش! فما بالك برب السماوات والأرض سُبْحَانَهُوَتَعَالَى!

فهذا كله دلالة على عِظم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذلك نحن لما نعصي سبب عصيانه الجهل، ما نعرف، لو نعرف الله عَزَّوَجَلَّ حق معرفته ما عصيناهُ، فمثلنا في معصيتنا لله كمثل الطفل الَّذِي يرمي نفسه في النار، الطفل هذا الصغير الَّذِي لا يعرف الجمرة، مستعد يمد أيده على الجمرة، ولولا أنك تمسك يده للتقم الجمرة، هل هذا شجاعة؟! لا، جهل، هذا جهل.

لذلك نحن نسميه جاهل، الطفل الصغير يسمونه: جاهل؛ لأنه لا يعرف حقائق الأمور، لذلك كلما كبر الإنسان كلما امتنع عن أشياء كثيرة كان يفعلها وهو صغير؛ لأنه كان جاهل، لذلك نحن لو عرفنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق معرفته لما أقدمنا على معصيتهِ.

تخيل! موضع الكرة الأرضية، الكرة الأرضية الَّتِي نعيش فيها مقدار بلدنا فيها لا شيء، لو تضع خريطة العالم تكون أنت لا تظهر إلا إذا كبرت الخريطة، ونحن داخل هذه البلد نراها كبيرة جدًّا، لكن لو تكبر الصورة وترى الفضاء الخارجي ستجد أنّ الكرة الأرضية كلها لا شيء، والكرة الأرضية جزء من المجموعة الشمسية، إذا كبرت أيضًا لا ترى الكرة الأرضية شيء، ثم المجموعة الشمسية جزء من مجموعات تُشكِل مجرة، وهذه المجرة جزء من مجرات، تخيلت! تخيلت حجمك!

☜ **كل هذا في السماوات والأرضين**، الكرسي وهو أحد مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ وليس أعظمها يسعها كلها، أجل الله عَزَّوَجَلَّ كيف! أجل رب العالمين سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كيف! ثم نأتي نحن نبارزه بمعصية، ويأمرنا بشيء ولا نطيعه، ونقول: لا، أنا لست مقتنع بهذا الأمر، ويُقال له قال الله تعالى كذا، وكأنما ولا قيل له شيء، لماذا؟ لأنّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[الأنعام:٩١]، لو قدرنا الله عَزَّوَجَلَّ حق قدره ما كان حالنا هذا.

﴿**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾[البقرة:٢٥٥]، لا يعجزهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حفظ السماوات والأرض ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[البقرة:٢٥٥] سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، العلي هذا اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ متضمن لصفة العلو، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علي في قدرهِ، علي في مكانهِ، علي في أسمائهِ وصفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، العظيم الَّذِي لا أعظم منه.

✎ **لذلك إذا تدبرنا هذه الآية** وحاولنا أنْ نتدبرها كلما قرأناها، لا شك أنهُ سيزداد في قلبنا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ تعظيم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإذا ازداد تعظيم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في قلبك صرت إن شاء الله من الطائعين؛ لذلك قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:٢٨].

ليس العلماء أي: الذين عندهم علم في الفقه أو كذا، لا، العلماء في الله كلما ازددت معرفةً بالله كلما ازددت منه خشية؛ لأنك تعرف قدره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولهذه الحكمة أُمِرنا أنْ نقرأ هذه الآية بما لا يقل عن ثمان مرات يوميًا، وليس كالقراءة قراءة هزل لا، يجب أنْ تدبَر معانيها، ونتذكر هذه المعاني ونحن نقرأها كل يوم، كلما قرأناها وتدبرناها وفهمنا معانيها أكثر، كلما ازددنا قربًا لله -عِزَّ وَجَل-.

نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أنْ يجعلنا وإياكم من الطائعين، وأنْ يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.